

التناسب الموضوعي في السور المفتتحة بـ (ألم)

دراسة تحليلية في وحدة المقاصد والدلالات

Objective Proportionality in the Surahs Beginning with (Alif Lam Meem): An Analytical Study in the Unity of Purposes and Meanings

بوبكر شيخاوي *

جامعة البويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، b.chikhaoui@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2025/10/20؛ تاريخ القبول: 2025/11/22؛ تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

يتناول البحث موضوع التناسب في السور المفتتحة بـ (ألم)؛ حيث عرّف المصطلحات المفتاحية الواردة في العنوان، كما تطرق إلى المقصد العام لكل سورة من السور محلّ الدراسة، مع بيان ترابطها فيما بينها؛ إذ تشكّل كل واحدة منها حلقة في منظومة متكاملة تُظهر حركة الإيمان من الاستخلاف في سورة البقرة والذي يتطلب الاصطفاء كما في آل عمران، وهو ما لا يتحقق إلا بالمرور بالفتن كما في سورة العنكبوت إلى تغيّر الأحوال كما في الروم، مما يظهر ينابيع الحكمة وهو ما دلت عليه لقمان، كل ذلك طريق موصل إلى اليقين بأصول الإيمان وهو ما تضمنته سورة السجدة. كما تناول بعض أوجه الترابط بين الحروف المقطعة (ألم) ومضمون السور التي افتتحت بها.

الكلمات المفتاحية: الحروف؛ المقطعة؛ فواتيح السور؛ ألم.

Abstract:

The research addresses the topic of proportionality in the chapters that begin with (Alif Lam Meem); it defines the key terms mentioned in the title and also touches upon the general purpose of each chapter under study, explaining their interconnection. Each chapter forms a link in an integrated system that illustrates the movement of faith—from succession in Surah Al-Baqarah, which requires selection as in

Al Imran, something that can only be achieved by passing through trials as in Al-Ankabut, leading to changes in circumstances as in Ar-Rum, revealing the sources of wisdom as indicated by Luqman, all of which is a path leading to certainty in the fundamentals of faith as encompassed in Surah As-Sajda. The study also addresses some aspects of the connection between the disjointed letters (Alif Lam Meem) and the content of the chapters they open.

Keywords: letters; disjointed; chapter openings; Alif Lam Meem.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: يُعدّ التناسب بين السور ومقاطعها ميداناً خصباً في الدراسات القرآنية، لما يكشف عنه من أحكام بياني وترابطٍ دلاليٍّ يعكس وحدة البناء القرآني وتكامله في المعنى والمقصد. ومن أبرز ما يستوقف الدارس في هذا الباب السورُ المفتتحة بالحروف المقطعة «ألم»؛ إذ تبرز بينها وشائجٌ دلالية وموضوعية دقيقة.

ولقد أولى المفسرون عناية بهذه الفواتح من جهة ما تحمله من أسرار بيانية، وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة للكشف عن الصلة الموضوعية بين السور محلّ الدراسة.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التساؤلات الآتية:

- ما المقاصد العامة لكل سورة من السور المفتتحة بـ (ألم)، وما أوجه التناسب الموضوعي بينها؟

- ما مدى الترابط بين الحروف الافتتاحية لهذه السور مع مقاصدها الكلية؟

- ما العلاقة بين بدايات هذه السور وخواتيم بعضها الآخر؟

أهداف البحث:

انطلاقاً من الأسئلة المطروحة في الإشكالية، تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

- بيان التناسب الموضوعي بين السور محلّ الدراسة في إطار وحدة المقاصد القرآنية.

- إبراز الصلة بين الفواتح المقطعة ومضامين السور من حيث البناء الدلالي.
- بيان العلاقة بين بدايات بعض هذه السور ونهايات بعضها الآخر .
- فتح المجال لمزيد من الدراسات التي تعنى ببقية الحروف المقطعة المشتركة، وعلاقة سورها بالتناسب الموضوعي.

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث المسطرة، والوصول إلى الغايات المرجوة، اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي القائم على تتبع الآيات ومضامين السور المفتوحة ب(ألم)، وتحليل بنائها الموضوعي في ضوء مقاصدها العامة، مع توظيف آلية المقارنة بين بدايات السور وخواتيمها، وبين الفواتح المتشابهة في الألفاظ والمقاصد. كما استندت الدراسة إلى المنهج البياني في تفسير دلالة الحروف المقطعة من حيث انسجامها مع المعاني التي تفتتح بها السور.

خطة البحث:

انسجمت عُقد هذه الورقة البحثية في مقدمة ومدخل تمهيدي تضمن مفهوم التناسب والحروف المقطعة، أتبعته بمطلبين؛ الأول لبيان الخصائص العامة للسور المفتوحة ب(ألم) ، وأما الثاني فلرصد التناسب الموضوعي بين هذه السور من حيث وحدة القضايا والمضامين الكبرى. أتبعته بخاتمة ضممتها أهم النتائج المتوصل إليها، مع جملة من التوصيات العلمية ذات الصلة بمجال التناسب القرآني.

مدخل تمهيدي:

يقتضي تناول هذا الموضوع الوقوف بدايةً على جملة من المفاهيم المركزية التي تُشكّل الأساس النظري لهذا البحث، فدراسة التناسب بين السور المستهدفة لا يمكن أن تنفصل عن إدراك طبيعة البنية التي يجري فيها هذا التناسب، سواء من جهة الترابط الموضوعي بين السور والآيات، أو من جهة الحروف المقطعة التي تميّز هذه المجموعة من السور وتشكّل مفتاح الدخول إلى معانيها.

ولأن هذه الدراسة تتخذ من السور المفتوحة ب(ألم) ميداناً للتحليل، فإن من اللازم تحديد مفهوم التناسب، باعتباره الإطار المركزي للدراسة؛ بالإضافة إلى بيان مفهوم

الحروف المقطعة، باعتبارها الظاهرة البيانية التي انبنى عليها اختيار هذا النموذج من السور. مع التنبيه أن المقام لا يستدعي التوسّع في المباحث اللفظية، وإنما هو تأسيس نظري تمهيدي، يتبعه الانتقال إلى التحليل الدلالي في المطالب اللاحقة.

1- التناسب: يقصد بالتناسب كما عرّفه ابن العربي "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"⁽¹⁾. وقال الزركشي عن المناسبات بأنها أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول⁽²⁾.

وقد تناول أهل العلماء المناسبات من جهة علاقة الآيات بعضها ببعض، ومن جهة تناسب فواتيح السورة مع خواتيمها، بالإضافة إلى علاقة السورة بما قبلها أو بعدها، وهناك من حاول إبراز التناسب بين مجموعة من السور، وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة لتكشف عن الصلة العامة للسور المفتتحة بـ (ألم)، من خلال تألف مقاصدها وانسجام مطالعها مع خواتيمها، دون أن يلزم من ذلك وحدة موضوعية تامة، بل يكفي وجود خيوط دلالية تجمعها في مقاصد متقاربة.

2- مفهوم الحروف المقطعة: هي الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم، ويلفظ كل واحد منها على وجه التهجي، مثل: أَلِف، لَام، مِيم. وردت هذه الحروف في تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم.

وقد جرى تصنيف هذه الحروف بحسب عددها في مطالع السور إلى أقسام متعددة: فمنها ما افتتحت بحرف واحد، مثل: "ص"، "ق"، "ن". ومنها ما افتتحت بحرفين اثنين، مثل: "طه"، "يس"، "حم". ومنها ما افتتحت بثلاثة أحرف، مثل: "الم"، "الر"، "طسم". ومنها ما افتتحت بأربعة أحرف، مثل: "المص"، "المر". ومنها ما افتتحت "بخمسة أحرف"، مثل: "كهيعص"، و"حم عسق"⁽³⁾.

وتشمل هذه الحروف أربعة عشر حرفاً من حروف الهجاء العربية، وهي: الألف، اللام،

(1) - أبو بكر العربي نقلا عن الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد إبراهيم، ط: 1، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، 1376 هـ، (36/1).

(2) - ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (35/1).

(3) - ينظر: جار الله الزمخشري، تفسير الزمخشري، ط: 3، دار الكتاب العربي - بيروت - 1407 هـ (30/1).

الميم، الصاد، الراء، الكاف، الهاء، الياء، العين، الطاء، السين، الحاء، القاف، النون. وقد لاحظ بعض العلماء أن هذه الحروف الأربعة عشر تمثل نصف حروف المعجم تقريباً، مما يشير إلى قصد بياني بديع؛ إذ تكوّن بمجموعها نموذجاً رمزياً للغة العربية كلها، وكأن في ذلك إشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز مؤلف من الحروف التي يعرفها العرب⁽¹⁾.

المطلب الأول: الموضوعات الأساسية في السور المفتتحة ب(ألم)

تضمّنت كلّ سورة من السور المفتتحة بـ (ألم) موضوعاً محورياً تتفرّع عنه جملة من الموضوعات الفرعية المكّملة له، بحيث تشكّل في مجموعها بناءً متكاملاً في العرض والمعنى. ويهدف هذا المطلب إلى عرض الموضوع الأساس لكل سورة من هذه السور، في نظرة تحليلية موجزة، تمهّد للانتقال لاحقاً إلى دراسة أوجه التناسب الموضوعي فيما بينها، وفيما يلي بيان ذلك:

1- المقصد العام لسورة البقرة:

تعتبر سورة البقرة أول السور المفتتحة بـ (ألم)، وهي سورة مدنية من أول من نزل في هذه الفترة؛ لذا فقد أسست لمعالم الخلافة كما أرادها الله تعالى، وهذا هو المقصد العام للسورة، تحقيقاً لقوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30].

وقد بُنيت السورة على هذا المعنى المحوري، فجاء ترتيب موضوعاتها متدرّجاً ومتربطاً في خدمة المقصد العام؛ ففي مطلعها ذكر لأصناف الناس: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وفي ذلك عرض لمن يسكن هذه الأرض، وبيان للتباين القبيح والوظيفي بينهم. إلا أنّ المتقين هم أهل الاستحقاق للخلافة؛ إذ جمعوا بين الإيمان والعمل واليقين؛ لذا بدأت السورة بذكرهم، بينما يُمثّل الكفار العدو الخارجي الذي يعيق مسيرة الاستخلاف، ويجسّد المنافقون العدو الداخلي الذي يهدد تماسك الأمة من داخلها.

ثم جاءت الدعوة الجامعة إلى عبادة الله في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21]، لتؤكد أن أساس الخلافة الراشدة هو العبودية لله تعالى. لتأتي قصة خلق آدم عليه السلام التي تمثل النواة الأولى

(1) - ينظر: علاء الدين الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط:1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ (1/23).

لمشروع الاستخلاف؛ ففيها بيان لبداية العبودية، وتكريم الإنسان بالعلم الذي كان سرَّ استحقاقه للخلافة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة: 31]، فصاحب هذا الوصف هو الجدير بالاستخلاف في العالم؛ لأن وظيفة هذا الاستخلاف تدبير وإرشاد وهدى ووضع الأشياء مواضعها، ولا يتحقق إلا بالعلم⁽¹⁾.

ثم عُرضت تجربة بني إسرائيل لتكون نموذجاً سلبياً للخلافة، حين تُفَرِّغ من مضمونها الإيماني؛ فقد أعطوا النعم والكتب والأنبياء، ثم خانوا العهد الإلهي، فاستبدلوا بغيرهم. وجاء هذا النموذج تحذيراً للأمة من الوقوع في سنن من قبلها.

بعد ذلك، تُقدِّم السورة إبراهيم عليه السلام نموذجاً إيجابياً للاستخلاف، إذ أتمَّ الابتلاء، فاستحق مقام الإمامة في الأرض: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة: 124]، وهنا يبرز أن الإمامة تُنال بالاستقامة والابتلاء والطاعة.

وفي القسم التشريعي المدني من السورة، جاءت التشريعات التفصيلية التي ترسم ملامح الأمة المستخلفة: من أحكام الصلاة والإنفاق والصيام والحج، إلى التشريعات الأسرية والاقتصادية والجنائية، في بيانٍ لشمول العبادة جميع مناحي الحياة، وأن الخلافة الراشدة لا تستقيم إلا بمنهج تعبدية شامل يربط بين الفرد والمجتمع، وبين العقيدة والسلوك، وبين السماء والأرض. وهكذا تُربي السورة الأمة على القيام بأمانة الخلافة في ضوء الوحي، وتحذرها من الانحراف الذي أصاب الأمم السابقة، لتتحقق فيها الوسطية كما أرادها الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]. فهي سورة الاستخلاف والمنهج، تبني العقل بالعلم، والقلب بالإيمان، والمجتمع بالشريعة، لتتحقق بذلك عمارة الأرض.

2- المقصد العام لسورة آل عمران:

سورة آل عمران سورة مدنية، نزل منها عدد من الآيات في سياق مواجهة أهل الكتاب، ومعالجة لقضايا الجماعة المسلمة الناشئة؛ لذا يتكرر فيها خطاب الاصطفاء والتميز بين من اختاره الله تعالى ومن خالف هديه، فمحورها الأساس يدور حول الاصطفاء، ويظهر

(1)- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ط:1، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984 هـ، (1/ 413).

ذلك من خلال اسمها، كما يتضح في نسيج السورة بأكملها، ففي مطلعها بيان منّة الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: {نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [آل عمران: 3] وهذا النص يؤكد اصطفاء الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون خاتم المرسلين. ثم تأتي الآية التالية لتؤكد هذا المعنى وتعمقه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ...} [آل عمران: 7] وفيها إشارتان واضحتان: الأولى اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي، والثانية اصطفاء آيات محكمات جعلها الله تعالى أم الكتاب، تمييزاً وتشريقاً لها، كما اصطفى القرآن كله على سائر الكتب المنزلة. ثم يستمر السياق في بيان وجوه هذا الاصطفاء؛ إذ يخص الله تعالى المتقين بقوله: {قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ...} [آل عمران: 15] وفي ذلك إشارة إلى أن المتقين هم صفوة البشر، لما تميزوا به من صفات الإيمان الصادق، والصبر، والإنفاق، والاستغفار في الأسحار. ويبرز القرآن بعد ذلك أحد أعظم مظاهر الاصطفاء بقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19]، ليدلّ على أن الله سبحانه اصطفى الإسلام شريعة خالدة، مهيمنة على ما سبقها من الشرائع.

ثم يأتي التصريح الجامع لمعنى الاصطفاء في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33] ومن هنا يتضح أن التسمية بـ«آل عمران» ليست لمجرد ذكرهم في السورة، وإنما لكونهم أنموذجاً للاصطفاء الإلهي الذي يشكل المحور الموضوعي الجامع للسورة كلها. ويُعزّز هذا المعنى ما ورد في خطاب الله تعالى لمريم عليها السلام: {يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 42]، فهنا يظهر الاصطفاء في أبهى صوره، مصحوباً بالتطهير والرفعة على نساء العالمين، مما يجعل قصة آل عمران لباً يترجم محور السورة كله. ويتكرر التأكيد على هذا المفهوم في قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]، وفيه بيان لاصطفاء الله لدين الإسلام دون سواه. ثم تأتي الآية الجامعة التي تميزت بها السورة، قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 110] لتؤكد أن الأمة المحمدية قد نالت شرف الاصطفاء والتميز بين الأمم بما حملته من رسالة الإصلاح والإيمان. ويواصل السياق القرآني إبراز هذا النسق في ذكر غزوة بدر بقوله: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران: 123]، وهي الغزوة التي كانت صفوة المعارك في التاريخ الإسلامي، إذ أظهر الله فيها تأييده لنبيه وصفوة أصحابه. كما

تتناول السورة الحديث عن الشهداء، وهم صفوة المجاهدين، في قوله تعالى: {وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} [آل عمران: 140]، ثم يثني عليهم بقوله: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169]. فالشهادة في سبيل الله لون من ألوان الاصطفاء، يختص به الله تعالى من عباده من يشاء. ويختتم الله السورة بدعاء الصفوة من المؤمنين الذين استجابوا للدعاء الإيماني فقالوا: {رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: 193] وهو ختام يتناغم تمامًا مع محور الاصطفاء، إذ يظهر فيه المؤمنون المصطفون وهم يناجون ربهم راجين مغفرته ورضوانه.

وهكذا تتجلى وحدة النسق الموضوعي في سورة آل عمران، إذ تتأزر آياتها منذ مطلعها حتى ختامها في إبراز قضية الاصطفاء الإلهي؛ اصطفاء الرسل والكتب، والأمم، والدين، والمجاهدين، والصفوة من المؤمنين، مما يجعل تسميتها تسمية موفقة في غاية الدقة والإعجاز، تعكس مضمونها الكلي وروحها العامة في سياق قرآني متناسق يبرز إعجاز البيان وعمق التناسب في كتاب الله تعالى⁽¹⁾.

3- المقصد العام لسورة العنكبوت:

سورة العنكبوت من السور المكية التي نزلت في أواخر العهد المكي قبيل الهجرة، في مرحلة اشتد فيها أذى المشركين للمؤمنين، فجاءت لتثبت القلوب على الإيمان وتبين أن طريق الدعوة محفوف بالابتلاء والتمحيص.

يدور محورها الرئيس حول الفتنة في الإيمان، وأن الإيمان ليس قولاً باللسان، بل صدق وثبات وصبر على المكاره. وتفتتح السورة بهذا المعنى في قوله تعالى: {أَلَمْ (1) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: 1، 2] مؤكدة أن الابتلاء سنة ماضية لتمييز الصادق من الكاذب.

وقد عرضت السورة نماذج من الفتن المتنوعة التي يواجهها المؤمن، كفتنة الوالدين حين يأمران بالشرك، وفتنة الأذى والتعذيب، وفتنة المضلين الذين يغرون الناس باتباع الباطل، وفتنة الشبهات والمجادلة، ثم فتنة السراء والضراء.

(1)- ينظر: هارون جاد، إعجاز المناسبات، ط:1، دار التقوى - 2024م، (17).

وسُمِّيت السورة بـ العنكبوت لورود المثل القرآني: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41]، وهو تصوير بليغ لوهن الاعتماد على غير الله؛ فبيت العنكبوت هو أضعف البيوت، وكذلك كل اعتماد على قوة أو حماية سوى الله مصيره إلى الانهيار.

ولبيان أنّ الابتلاء سنة قديمة، ذكرت السورة قصص عدد من الأنبياء كنوح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام، لتؤكد أنّ النصر والنجاة مرهونان بالصبر والثبات. ثم قدّمت منهج الثبات أمام الفتن في ركنين: التفكير في خلق الله الذي يورث اليقين بعظمته، والزيادة الإيماني المتمثل في تلاوة الوحي وإقامة الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

كما أشارت السورة إلى الهجرة تلميحاً في قوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت: 56]، لتدلّ على مشروعية ترك دار الفتنة حين يُحال بين المسلم ودينه، ثم عالجت ما قد يمنع عنها من خوف على النفس أو الرزق، مؤكدة أن هذه المقادير بيد الله وحده.

ويجيء ختامها بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، ليطابق مطلعها في المعنى والمقصد، فكما افتتحت بالابتلاء والتمحيص، اختتمت بالوعد بالهداية والمعية للمجاهدين الصابرين، في اتساق بديع يوجز رسالة السورة: الثبات على الإيمان في وجه الفتن، والثقة بوعده الله للمحسنين⁽¹⁾.

4- المقصد العام لسورة الروم:

سورة الروم مكيّة، سُمِّيت بهذا الاسم لافتتاحها بخبر غلبة الروم، ثمّ الإخبار عن انتصارهم بعد هزيمتهم، في معجزة قرآنية تشهد بصدق الوحي؛ إذ تحقق ما أخبر به القرآن كما هو. غير أنّ السورة لا تقف عند حدود هذا الخبر، بل تتجاوزه لتكشف عن السنن الإلهية التي تحكم حركة التاريخ وتقلب أحوال الأمم، مؤكدة أن الأمر كلّّه لله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: 4].

(1)- ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور ، جعفر شرف الدين ، ت: عبد العزيز التويجزي، ط: 1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، 1420 هـ، (248 /6).

المقصد العام للسورة هو بيان خضوع الكون والإنسان لأمر الله تعالى، وأن ما يقع في الحياة من نصر أو هزيمة، ومن عزّ أو ذلّ، يجري وفق نظام إلهي دقيق، لا يختل ولا يخرج عن إرادته سبحانه. ومن هذا المنطلق تربط السورة بين الماضي والحاضر والمستقبل لتؤكد وحدة السنن الربانية في التاريخ والكون، وتنبيه إلى أن النصر الحقيقي مرتبط بنصرة الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُ بِفَرَحِ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: 4-5].

وتتنوع موضوعات السورة في خدمة هذا المقصد، فهي تذكر بآيات الله في الأنفس والآفاق: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: 20]، وتلفت النظر إلى دلائل القدرة في الظواهر الكونية كالرياح والمطر والنبات، في قوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50]، لتقرر أن الحياة والموت، والخصب والجذب، كل ذلك بيد الله وحده.

كما جاءت السورة تسلية للمؤمنين الذين نالهم الأذى في مكة، حين شمت المشركون بهزيمة الروم وهم أهل كتاب، أمام الفرس الوثنيين، فأنزل الله وعده بنصر الروم تثبيتاً لقلوبهم، وتأكيداً بأن الغلبة في النهاية لأهل الحق.

وهكذا تُظهر السورة أنّ تقلب الأحوال بين النصر والهزيمة، والرخاء والشدة، ليس إلا وجهاً من وجوه السنن الإلهية التي تسير بها الحياة، ليبقى المؤمن على وعي بأنّ التدبير كله لله، وأن عليه أن يؤدي دوره في عمارة الأرض بثقة ويقين، آخذاً بالأسباب، ومستيقناً أن الله هو المصرف للأقدار والمآلات⁽¹⁾.

5- المقصد العام لسورة لقمان:

سُمّيت سورة لقمان بهذا الاسم لاشتغالها على ذكر الحكيم لقمان وجملة من وصاياه البليغة التي خاطب بها ابنه، فجاءت هذه التسمية متناسبة مع مقصدها العام، وهو بيان قيمة الحكمة ومنزلتها في تزكية النفس وبناء الإنسان الصالح والمجتمع الراشد. والسورة مكّية، نزلت في سياق مواجهة المشركين الذين انصرفوا عن هدي الوحي إلى قصص

(1)- ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ط: 2، دار الفكر المعاصر - دمشق، 1418 هـ (21/ 42)، الموسوعة القرآنية خصائص السور، (7/ 5).

وأساطير ، كما كان يفعل النضر بن الحارث حين يروي أخبار رستم وإسفنديار، فجاءت السورة لتقرر أن القرآن وحده هو مصدر الهداية والحكمة الحقة: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ} [لقمان: 2، 3].

افتتحت السورة بالثناء على القرآن وبيان أنه الهدي الإلهي الجامع لكل خير، في مقابل لهو الحديث الذي يضلّ عن سبيل الله، وبذلك مهدت لعرض نموذج تطبيقي للحكمة ممثل في لقمان، الذي آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} [لقمان: 12]. وتبرز من خلال وصاياه لابنه معالم الحكمة العملية: التوحيد الخالص، والبرّ بالوالدين، ومراقبة الله في السرّ والعلن، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الشدائد، واجتناب الكبر والغرور، والتحلي بالتواضع والاعتدال في السلوك والكلام.

وتتوسع السورة في بيان جذور الحكمة الإيمانية، فتذكّر بآيات الله في الأنفس والأفاق، وتدعو إلى النظر في نظام الكون الدالّ على وحدانية الخالق، كما في قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [لقمان: 10]. وتعرض في المقابل موقف الجاحدين الذين أعرضوا عن الحقّ مقلّدين آباءهم دون هدى، فتقرر أن الحكمة الحقة لا تُنال إلا بالتعقل والتفكير.

وفي ختامها، ترسخ السورة معاني الحكمة من خلال الإقرار بعجز الإنسان عن إدراك الغيب مهما بلغ علمه، فالله وحده {يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان: 34]، ليختتم السياق بتأكيد خضوع الإنسان والكون كله لعلم الله وحكمته، فيتحقق المقصد الكلي للسورة: أن الحكمة الحقيقية هي معرفة الله واتباع هدايته، والسمو بالنفس عن الجهل والغرور ، إلى التواضع والعقل واليقين⁽¹⁾.

6- المقصد العام لسورة السجدة:

سورة السجدة سورة مكية، نزلت لترسيخ الإيمان بالغيب وبحقائق العقيدة الكبرى، وهي: توحيد الله تعالى، والإيمان بالوحي، والبعث والجزاء. وقد سميت بـ"السجدة" لما

(1)- ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (21/ 137).

تضمنته من مشهدٍ مهيبٍ للسجود لله تعالى، سجودٍ نابغٍ من اليقين والإذعان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: 15]. فاسم السورة يعكس مقصدها العام، إذ تمثل السجدة مظهرًا من مظاهر اليقين الحق الذي يورث الخضوع والطاعة.

وتبرز السورة اليقين بوعده الله من خلال عرضها لبراهين الخلق والبعث، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: 4]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [السجدة: 9]. وهذه الآيات تقيم البرهان العقلي على أن الذي أنشأ الخلق أول مرة قادر على بعثهم ثانية.

وتختتم السورة بمشهد يوم القيامة، حيث يتجلى اليقين في صورته النهائية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى... وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: 19-20]. وهكذا ترابط بدايات السورة بخواتيمها في بناء يقينٍ شاملٍ بالله ووعده ولقائه، لتغدو السجدة عنوانًا لمعنى الإذعان القلبي الذي هو ثمرة اليقين الراسخ في النفس المؤمنة⁽¹⁾.

المطلب الثاني: ترابط المقاصد وتكامل الدلالات في السور المفتحة

بـ(ألم)

بعد استكمال التحليل الجزئي للمقصد العام لكل سورة، أنتقل من خلال هذا المطلب إلى التحليل التركيبي المقارن بين السور المفتحة بـ(ألم)، من حيث ترابط موضوعاتها ومقاصدها وبنيتها الداخلية والخارجية، وذلك من خلال ما يلي:

1- التناسب في المقاصد والموضوعات العامة:

يتضح من خلال التأمل في المقاصد الكلية للسور المفتحة بـ(ألم) أن بينها نسقًا مترابطًا يجمعها ضمن بناء موضوعي متكامل، يقوم على عرض مراحل تكوين الأمة الإيمانية وتربيتها، في تصاعدٍ يتدرج من تأسيس المنهج، إلى بيان معايير الاصطفاء، ثم مواجهة الفتن، فيدراك

(1)- ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، (55/7).

سنن الله في التاريخ، وانتهاءً بالحكمة واليقين اللذين يبلغان غايتهما في الخضوع لله تعالى.

فقد افتتحت هذه السور بسورة البقرة، التي وضعت الأساس العقدي والمنهجي لاستخلاف الإنسان في الأرض وفق مراد الله تعالى، وأرست معالم الأمة الوسط التي تشهد على الناس بالحق، فهي سورة التأسيس والاستخلاف. ثم جاءت سورة آل عمران لتكمل البناء ببيان أن هذا الاستخلاف لا يُنال إلا بالاصطفاء الإيماني القائم على الصدق والطاعة والابتلاء، فهي سورة الاصطفاء والتمييز بين الصفوة وغيرهم. وبهذا تبرز علاقة التابع بين السورتين.

ثم تتجه السورة الثالثة، العنكبوت، إلى الجانب العملي التطبيقي في مسيرة الإيمان، فتبين أن الاصطفاء والاستخلاف لا يتحققان إلا بالصبر على الفتنة والابتلاء؛ إذ الإيمان لا يُختبر إلا بالمحن، فكانت سورة العنكبوت ترجمة واقعية لمعنى الثبات في طريق الدعوة، وبياناً أن الصادقين يُعرفون في زمن الفتن.

أما سورة الروم، فقد اتسع فيها الأفق من تجربة الفرد والأمة إلى مشهد التاريخ الكوني، لتقرر أن تقلب الأحوال والأمم خاضع لسنن الله الثابتة التي لا تحابي أحداً، وأن النصر والعزة مقترنان بالإيمان، فكانت سورة السنن وتقلب الأحوال التي تربط المؤمن بربه في جميع أطوار الحياة.

وتأتي سورة لقمان لتقدم المبدأ الذي يصوغ الفرد الصالح الذي يعقل هذه السنن ويهتدي بها، وهو مبدأ الحكمة؛ إذ لا استقامة في الاستخلاف ولا ثبات في الفتنة إلا بعقل راشد وحكمة مؤمنة. فهي سورة بناء الإنسان الحكيم الذي يعبد الله عن بصيرة ويقوم سلوكه على التوازن والتقوى.

ثم تختتم هذه السلسلة بسورة السجدة التي ترسم الغاية النهائية لهذه المسيرة، وهي بلوغ مقام اليقين الذي يثمر السجود والخضوع لله تعالى؛ فبعد أن أسست السور السابقة للبناء الإيماني والعلمي والعملي، جاءت السجدة لتعرض ثمرة ذلك كله في سجود المؤمنين الموقنين الذين أدركوا حقائق الغيب، واستسلموا لله ظاهراً وباطناً.

2- الحروف المقطعة (ألم) وعلاقتها بمضامين السور التي افتتحت بها:

كشف الزركشي عن سرٍّ دقيق في هذه الصيغة، التي افتتحت بها ست سور من القرآن؛ إذ بين أن الألف واللام والميم تمثل مخارج الحروف الثلاثة الكبرى: الحلق،

واللسان، والشفيتين، والتي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً عليها مدار الكلام، مع تضمينها سرا عجيبا وهو أن الألف للبداية واللام للتوسط والميم للنهاية. ثم استنبط دلالة رمزية أخرى؛ فكل السور التي استفتحت بهذه الأحرف قد اشتملت على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه⁽¹⁾؛ أي أنها تُجسد المسار الكامل للوجود الإنساني في علاقته بالله تعالى.

وبالتبع اتضح لي ما ذكره الزركشي؛ ففي سورة البقرة نجد الإشارة الواضحة إلى بداية الخلق في قوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30]، وهي الآية التي تقرر بدء المسيرة الإنسانية واستخلاف الإنسان في الأرض، ثم يأتي التوسط متمثلاً في الشرائع التي تنظم حياته وتوجهه للعبودية، كما تضمنت السورة النهاية والمصير في قوله تعالى: {وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة: 281].

وفي سورة آل عمران تظهر المراتب الثلاث أيضاً في نسيجها الموضوعي؛ فالبداية تتجلى في الإشارة إلى أصل الخلق الإنساني واصطفاء الله لصفوة من خلقه، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33]، ثم يأتي التوسط في سياق التكليف والابتلاء في ميدان الجهاد والطاعة، كما في قوله: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139]، أما النهاية فتتمثل في تقرير المصير الأخروي في قوله: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 185].

وفي سورة العنكبوت يبرز التسلسل نفسه؛ فالبداية بالإشارة إلى الخلق: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ} [العنكبوت: 19]، والتوسط في قوله تعالى: {أَتَلُمَا مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ} [العنكبوت: 45]، والنهاية في التذكير بالآخرة: {وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64].

وفي سورة الروم تتجسد البداية بوضوح في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [الروم: 20]، وهو تذكير بأصل الإنسان ونشأته الأولى، ويتوسطها مشهد التكليف

(1)- ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (1/ 168).

والدعوة إلى الدين القويم: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} [الروم: 30]، والنهاية في التذكير بقيام الساعة: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: 55].

أما سورة لقمان فقد جمعت بين المراتب الثلاث بوضوح كذلك؛ فالبداية في قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [لقمان: 10] والتوسط في الأمر بالتوحيد والشرائع في وصايا لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: 17]، والنهاية في التذكير بيوم الحساب: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34].

وأما سورة السجدة فقد جاءت كأنها ترجمة تامة لرمزية هذه الحروف؛ فالبداية فيها واضحة في قوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7]، ثم يتوسطها الحديث عن التكليف وأثار الإيمان من الجانب العملي: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [السجدة: 16]، وأما النهاية فتبرز عاقبة الظالمين: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} [السجدة: 29].

من خلال هذا التحليل يتبين أن الحروف (ألم) ليست مجرد افتتاح رمزي، بل تحمل في ذاتها إشارة وجودية كبرى إلى رحلة الإنسان في أطوارها الثلاثة: خلقا، وتكليفًا، ومآلا. فهي تختصر دورة الحياة، وتدل على أن المقصد القرآني في هذه السور هو بيان شمول الهداية الإلهية للإنسان منذ وجوده إلى معاده، كما أن انتظامها على هذا النسق يبرز وحدة البناء الدلالي للسور المفتحة بها، ويؤكد انسجامها في إطار المقاصد الكلية للقرآن الكريم.

3- التناسب بين بدايات السور المفتحة بـ (ألم) ونهايتها:

يتجلى التناسب بين بدايات السور المفتحة بالحروف المقطعة (ألم) ونهايات نظائرها في نظامٍ دقيق يجمع بين البيان العقدي والتوجيه العملي، ويكشف عن وحدة بنائية متكاملة في مقاصد هذه السور، بحيث تتتابع في عرض مراحل الهداية الإيمانية من التأسيس إلى التمكين، ومن البيان إلى التجسيد.

افتُتحت سورة البقرة بقول الله تعالى: {الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2-1]، فكانت مبدأ الهداية الإلهية الموجهة للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله. وبيّنت أنهم أهل الفلاح، وخُتمت سورة آل عمران بنداءٍ موجهٍ إلى أولئك المتقين أنفسهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 200]، ليكون الختام تجسيداً عملياً لمطلع البقرة.

ويزداد هذا التناسب وضوحاً عند التأمل في ختام البقرة حيث يقول تعالى: {وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286]، إذ جاءت أوائل آل عمران استجابةً لهذا الدعاء، حين قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...} [آل عمران: 13]، في إشارة إلى نصر الله للمؤمنين يوم بدر، فكان ختام البقرة دعاءً بالنصر، ومطلع آل عمران إظهاراً لتحقيقه.

كما تتجلى المناسبة بين قوله تعالى في ختام البقرة: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} [البقرة: 284]، وقوله في مطلع آل عمران: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران: 2-5]، فكلًا الموضوعين يؤكد علم الله المحيط بكل خفي، في انسجامٍ عقديٍّ يربط بين ختام الأولى ومطلع الثانية.

وإذا كانت البقرة قد عرضت أصناف الناس الثلاثة: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وردّت شبه اليهود، فإن آل عمران جاءت لتردّ شبهات النصارى وتُتمّ تصحيح التصور الإيماني في مواجهة أهل الكتاب جميعاً.

ثم يأتي التناسب بين سورتي العنكبوت والروم في اتجاهٍ آخر من البناء القرآني؛ فقد افتُتحت سورة العنكبوت بقوله: {أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُلَازِكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: 2]، واختتمت سورة الروم بقوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60]، فدلّ ذلك على أن الصبر أساس من أسس الخلاص من الفتن، فهما حلقتان متكاملتان في تربية النفس المؤمنة على الثبات.

وفي الاتجاه المقابل، تُظهر بداية الروم طبيعة المنكرين الذين {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: 7]، ثم تأتي بداية سورة لقمان لتصف المؤمنين بضد تلك الغفلة: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ

{يُوقِنُونَ} [لقمان: 4]، فانتقل السياق من الغفلة إلى اليقين، ومن المظاهر الدنيوية إلى الإيمان بالغيب، في تدرج تربوي يرسم ملامح الشخصية المؤمنة الواعية.

ثم تتلاحم سورتا لقمان والسجدة في بناء معرفي محكم؛ إذ خُتمت لقمان بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34]، وافتُتحت السجدة بقوله: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [السجدة: 1-2]، فدلّ الختام والمطلع على وحدة الأصل؛ لأن الذي أحاط علماً بالساعة هو الذي أنزل الكتاب علماً وحكمةً، فالآيتان تتكاملان في تقرير صفة العلم الإلهي الشامل الذي يصدر عنه الوحي، ويحيط بالغيب والمصير.

ويظهر هذا الارتباط أيضاً بين مطلع لقمان الذي وصف القرآن بأنه {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ} [لقمان: 3]، ومطلع السجدة الذي جاء فيه: {لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة: 3]، فكلها تدور حول الهداية بوصفها المقصد الجامع لهذه السور. أما نهاية السجدة فختمت بإنذار المعرضين: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ} [السجدة: 30]، لتقابل مطلع لقمان الذي يصف استجابة المحسنين لهدى الكتاب.

وهكذا يتبين أن هذه السور تتساند في عرض مقاصدها عرضاً متدرجاً متكاملًا؛ فالبقرة وآل عمران تمثلان مرحلة "الهداية والتثبيت"، والعنكبوت والروم تجسّدان "سنة الابتلاء والنصر"، ولقمان والسجدة تعرضان "الحكمة والوحي" وما يتصل بهما من العلم والمصير.

إن هذا النسق القرآني البديع يكشف عن بعد معرفي وبلاغي عميق، إذ تتضافر بدايات السور ونهاياتها في سياق واحد، يعرض الهداية أولاً، ثم يربطها بالتجربة العملية، وينتهي ببيان المآل الأخروي، في وحدة دلالية تُبرز أن ترتيب السور في المصحف ليس مجرد تسلسل شكلي، بل هو جزء من الإعجاز البياني والتربوي للقرآن الكريم.

خاتمة:

بعد استقراء البنية الموضوعية للسور المفتحة بالحروف المقطعة (ألم)، تبين أن هذا النسق القرآني المتفرد يجمع بين إعجاز البيان ووحدة المقصد، في نظام يربط بين العقيدة والتربية والسلوك الإنساني عبر أطوار البناء الإيماني للأمة.

أولاً: أهم النتائج

1. اشتراك الحروف المقطعة في فواتح هذه السور ليس مجرد تكرار، بل يحمل دلالة على وحدة المصدر الإلهي للوحي، وترابط مقاصد هذه السور في بناء الإنسان المؤمن الواعي برسالته.
 2. تنوع الفترة المكية والمدنية لم يُفكك وحدة النسق، بل عمّقها؛ إذ جاءت السور المدنية، كالبقرة وآل عمران، لتؤسس للمنهج الإيماني العملي، بينما السور المكية، كالعنكبوت والروم ولقمان والسجدة، تمهد له بالترسيخ العقدي والتربوي.
 3. المقاصد الجزئية لكل سورة تتكامل في رسم مسار تربوي متدرّج؛ فالبقرة تؤسس للاستخلاف القائم على عبادة الله والالتزام بشريعته، وآل عمران تبرز مبدأ الاصطفاء الإلهي وخصائص الجماعة المؤمنة، والعنكبوت تغرس الثبات في الابتلاء، والروم تذكر بتقلب الأحوال، ولقمان تبني الحكمة وتربية الضمير، أما السجدة فتختتم بسجدة اليقين والتسليم لله تعالى.
 4. منهج التناسب الموضوعي أظهر أن القرآن لا يقدم المعاني في عزلة، بل في نسق مترابط يجعل من كل سورة لبنة في صرح المقاصد الكبرى للقرآن الكريم، وهي الإيمان والعبادة والعمران والتزكية.
- ثانياً: التوصيات

1. العناية بالدراسات الموضوعية المقارنة بين السور، خصوصاً تلك المفتتحة بالحروف المقطعة، لما تحمله من وحدة بيانية ومقاصدية تكشف عن عمق الإعجاز القرآني.
2. تشجيع البحوث التطبيقية التي تربط بين مقاصد السور ومجالات التربية الإيمانية والاجتماعية المعاصرة، إحياءً لوظيفة القرآن في بناء الإنسان والمجتمع.
3. الانفتاح على القراءة المقاصدية التكاملية التي تجعل من مجموع السور المفتتحة بـ (ألم) نموذجاً للوحدة الموضوعية في الخطاب القرآني.

قائمة المصادر والمراجع:

- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد إبراهيم، ط: 1، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، 1376.
- جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ت: عبد العزيز التويجزي، ط: 1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، 1420 هـ.

- جار الله الزمخشري، تفسير الزمخشري، ط: 3، دار الكتاب العربي - بيروت - 1407 هـ.
- علاء الدين الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط: 1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ.
- هارون جاد، إعجاز المناسبات، ط: 1، دار التقوى - 2024 م.
- وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ط: 2، دار الفكر المعاصر - دمشق، 1418 هـ.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ط: 1، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.